

السَّوَاكُ بَيْنَ الشَّرْعِ وَالطَّبَرِ

إعداد: صديق عبد الله عبد الله

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله وبعد.

فقد جاء في « البدر المنير » : « قد ذكر في السواك زيادة على مائة حديث ، فوا عجباً لسنة تأتي فيها الأحاديث الكثيرة ، ثم يهملها كثير من الناس ، بل كثير من الفقهاء ، فهذه خيبة عظيمة »^(١).

ونظراً لهجر كثير من الناس لهذه السنة العظيمة ، التي حافظ عليها الرسول ﷺ حتى في آخر لحظات موته ، والتي جعل الله تبارك وتعالى فيها فوائد عظيمة - رغم يسر وسهولة تطبيقها - ونظراً لجهل كثير من الناس بأحكام السواك وفوائده ، كتبتُ هذا البحث ، وجمعت فيه بين السواك من الناحية الدينية والناحية الطبية ، وبينت العديد من أحكام السواك وفوائده التي كانت نتاج أبحاث وتجارب قام بها المختصون^(٢) . وأسأل الله أن ينفع بما كتبت ، ويجعله في ميزان حسناتي ، وأن يرزقنا العلم النافع ، ويبعد عنا الرياء وحب الدنيا .

(١) انظر « سبل السلام » : (١/٦٣).

(٢) عدم نظافة الفم ؛ يسبب الإصابة بالعديد من الأمراض ، فالقم غير النظيف مسكن للملايين من الميكروبات والجراثيم ، والسواك يطيب الفم ، فيجعل الأسنان نظيفة بيضاء ، ويجعل رائحة الفم طيبة زكية ؛ مما يعكس الصورة المميزة للمسلم ، والناظر إلى كثير من الناس اليوم يجد التقصير وعدم الإهتمام بهذه الناحية ؛ لعدم أهميتها في أنظارهم القاصرة ، والحقيقة أنها من الأهمية بمكان ، فرائحة الفم الكريهة قد تذهب خشوع أحد المصلين ، وقد تكون سبب في التنافر بين الأصدقاء ، وبين الأزواج .. إلخ . ولذلك نرى حرص الرسول ﷺ على السواك !

تعريف السواك :

السواك لغة :

هو بكسر السين على الأفصح ، ويطلق على الآلة والفعل ^(١) . وساك الشيء سوکاً: دلکه ^(٢) ، يقال: « جاءت الغنم تساوك هزلاً ، أي: يحك بعضها بعضاً » ^(٣) . قال ابن فارس: « والسواك مأخوذ من تساوت الإبل إذا اضطربت أعناقها من الهزل » . وقال ابن دريد: « سكت الشيء أسوكه سوکاً من باب قال: إذا دلكته ، ومنه اشتقاق السواك » ^(٤) .

واسم العود: سواك ومسواك ^(٥) ، يذکر ويؤنث ، وقيل: السواك تؤنثه العرب ، قال أبو منصور: « ما سمعت أن السواك يؤنث » ، وقال: « السواك مذکر » ^(٦) . يقال: ساك أسنانه بالسواك ، والمسواك ، واستاك وتسوك ^(٧) . فإذا قلت: استاك أو تسوك لم تذكر الفم . قال أبو زيد: « جمعه سوك مثل كتاب وكتب » ^(٨) .

السواك في الشرع :

الآلة: هو ما تدلك به الأسنان من العيدان وغيرها .
الفعل: استعمال عود أو غيره في الفم ؛ لإذهاب التغير ونحوه ، وتطيب الفم .

(١) « فتح الباري » : (٤٢٤/١) .

(٢) « لسان العرب » : (٤٣٨/٦) ، « المعجم الوسيط » : (٤٦٥/١) .

(٣) « أساس البلاغة » : (٣١٤) .

(٤) « المصباح المنير » : (٤٠٣/١) .

(٥) « لسان العرب » : (٤٣٨/٦) ، « أساس البلاغة » : (٣١٤) ، « المصباح المنير » : (٤٠٣/١) ،

« مختار الصحاح » : (٣٢٢) ، بمعناه .

(٦) « لسان العرب » : (٤٣٨/٦) .

(٧) « أساس البلاغة » : (٣١٤) .

(٨) « مختار الصحاح » : (٢ ، ٣) .

حكم السواك :

قال ابن قدامة: « اتفق العلماء على أن السواك سنة مؤكدة لحث النبي ﷺ ، ومواظبته عليه وترغيبه فيه »^(١). وقال ابن عبد البر: « العلماء كلهم يندبون عليه - أي السواك - ويستحبونه ويحثون عليه ، وليس بواجب عندهم »^(٢) . ودليل سنية ما روى عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال: (لولا أن أشق على أمتي؛ لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة)^(٣). والحديث بيان لاستحباب السواك وتأكيده ونفي لوجوبه. قال الشافعي: « لو كان واجباً؛ لأمرهم به شقاً أو لم يشق، وقوله: (لأمرتهم به) ، دليل على أنه لم يأمرهم »^(٤).

وقال الحافظ ابن حجر معلقاً على حديث دخول عبدالرحمن بن أبي بكر على الرسول ﷺ في مرض موته ، وعائشة عنده ، ومع عبدالرحمن سواك ، قال: « وفيه دلالة على تأكيد أمر السواك ؛ لكونه ﷺ لم يخل به على ما هو فيه من شاغل المرض »^(٥).

والأحاديث الواردة في السواك كثيرة تدل على تأكيد السواك واستحبابه .

وروي عن إسحاق بن راهويه وداود ، القول بوجوب السواك ؛ لأنه مأمور به فقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: (تدخلون عليّ قلحاً فاستاكوا)^(٦) ،

(١) « المغني » : (٩٠/١).

(٢) « الاستذكار » : (٢٧٣/٣).

(٣) صحيح. وجاء في بعض رواياته: (لأمرتهم بالسواك مع كل وضوء) ، انظر البخاري: (٢٦٧/١) ، حديث (٨٨٧) ، ومسلم: (٢٢٠/١) ، حديث (٤٢) ، «وسنن النسائي»: (١٢/١) ، «وسنن ابن ماجه»: (١٠٥/١) ، حديث (٢٨٧) ، «وسنن الترمذي»: (٣٤/١) ، (٣٥) . حديث (٢٣/٢٢) ، «وسنن البيهقي»: (٣٥/١) ، «وسنن الدارمي»: (١٨٤/١) ، حديث (٦٨٣) ، و« سنن أبي داود »: (١٢/١) حديث (٤٧) ، «صحيح ابن خزيمة»: (٧٢/١ ، ٧٣) ، حديث (١٣٩ ، ١٤٠) ، «ومسند أبي عوانة»: (١٩١/١) ، ومصنف ابن أبي شيبة: (١٩٥/١) ، «ومسند أحمد»: (١٧٥/١) ، حديث (٦٥٧) وغيرهم .

(٤) «الحاوي»: (٨٣/١ ، ٨٤) ، وانظر «المجموع»: (٢٧١/١) ، «طرح التثريب»: (٦٢/١) ، و«الاستذكار»: (٢٧٣/٣) .

(٥) انظر « فتح الباري »: (٤٣٨/١) .

(٦) ضعيف ، رواه البزار في مسنده ، وفيه أبو علي الصقلي ، وهو مجهول ، انظر « طرح

التثريب » : (٦٢/١) .

وقوله ﷺ: (تسوكوا فإن السواك مطهرة للفم مرضاة للرب)^(١) . والرواية عن إسحاق وداود بالوجوب ، لا تصح^(٢) .

وذهب الحنابلة إلى أن السواك واجب على النبي ﷺ^(٣) . واستدلوا بما روي عن عبدالله بن عبدالله بن عمر - رضي الله عنهما - قال: «قلت: أرأيت توضوء ابن عمر لكل صلاة طاهراً وغير طاهر ، عمّ ذاك ؟ فقال: حدثني أسماء بنت زيد بن الخطاب أن عبدالله بن حنظلة بن أبي عامر حدثها أن رسول الله ﷺ أمر بالوضوء لكل صلاة طاهراً وغير طاهر ، فلما شق ذلك عليه أمر بالسواك لكل صلاة » .

فكان ابن عمر يرى أن به قوة ، فكان لا يدع الوضوء لكل صلاة^(٤) . فالحديث أمر للنبي ﷺ ، والأمر للوجوب ما لم تأت قرينة تدل على خلافه ولم توجد ، وأما حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال: (لولا أن أشق على أمتي ؛ لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة)^(٥) . يدل على عدم وجوب السواك في حق الأمة فقط ، وحديث واثلة بن الأسقع أن النبي ﷺ قال: (لقد أمرت بالسواك حتى خشيت أن يكتب عليّ) ، فضعيف^(٦) . ورويت أحاديث قريبة منه كلها ضعيفة لا تقوى .

(١) ضعيف ، رواه ابن ماجه: (١٠٦/١)، من حديث أبي أمامة على بن يزيد الألهاني ، وهو ضعيف جداً ، انظر ضعيف سنن ابن ماجه: (٨٣) ، حديث (٥٨) ، « طرح الشريب »: (٦٢/١) . لكن جملة: « السواك مطهرة للفم مرضاة للرب » ، صحيحة ، وسيأتي تخريجها .

(٢) « طرح الشريب »: (٦٢/١) ، « الحاوي »: (٨٣/١) ، « المغني »: (٩٠/١) ، « المجموع »: (٢٧١/١) .

(٣) « الإقناع »: (١٩/١) ، « المبدع »: (١٠٩/١) ، « المغني »: (٩٠/١) .

(٤) حسن ، رواه أبو داود: (١٢/١) ، حديث (٤٨) ، وأحمد في المسند: (٢٢٣/٨) ، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود: (١٢/١) ، حديث (٣٨) .

(٥) سيأتي تخريجها .

(٦) ضعيف ، رواه الطبراني في الكبير: (٧٦/٢٢) ، حديث (١٨٩ ، ١٩٠) ، وأحمد في المسند: (٤٢٠/٥) ، حديث (١٦٠٠٧) ، انظر «سلسلة الأحاديث الصحيحة»: (٧٧/٤) .

ما تحصل السنة بالاستيائك به :

تحصل السنة بالاستيائك بكل خشن طاهر مزيل للقلق يجلو الأسنان ، ولا يؤذيها ، وأفضله قضبان الأشجار ، وأولاه الأراك ، ثم ما كان معروفاً عند العرب مثل البشام^(١) ، والإسحل^(٢) ، والبكا^(٣) ، والنخل .

قال ابن عبد البر: « وكان سواك القوم الأراك والبشام ، وكل ما يجلو الأسنان ، ولا يؤذيها ، ويطيب نكهة الفم ، فجائز الاستيائك به »^(٤).

وقال الرافعي: « ولا يشترط السواك بقضبان الأشجار لكنها أولى من غيرها ، والأراك أولى ، وأصل السنة تتأدى بكل خشن يصلح ؛ لإزالة القلق كالخرقة والخشبة ونحوهما »^(٥) . وجاء في «مغني المحتاج» ، «ونهاية المحتاج»: «ويكون الاستيائك بكل خشن ، بشرط أن يكون مزيل للقلق طاهر وأولاه الأراك »^(٦).

ما يكره الاستيائك به :

ويكره السواك من شجرة مجهولة - فربما كانت سامة^(٧) - وكل ما يؤذي الفم .

(١) الواحدة: بشامة ، وهو شجر طيب الريح والطعم ذو ساق وقنان شكمة - أي كزة غير بسيطة - وورقها صغار أكبر من ورق الصنوبر ، ولا ثمر له ، وإذا قطعت أو فصفت هُريق منه لبناً أبيض .

(٢) واحده: إسحلة ، وهو شجر يشبه الأثل ، ولا يكاد يفرق بينهما ، وهو أشد العيذان استواءً ، والطف من البشام ، وهو طويل ، ولونه أخضر إلى البياض ، وقضبان الأسحل سمر إلى سواد ، وخشبه أصلب من خشب الأراك .

(٣) واحده: بكاة ، وهي مثل البشام ، انظر «المخصص»: (١٩٣/١١) .

(٤) « الاستذكار »: (٢٧٢/٣) .

(٥) « طرح الشريب »: (٦٧/١) .

(٦) « مغني المحتاج »: (١٨٣/١) ، « ونهاية المحتاج »: (١١/٩/١) .

(٧) انظر « الطب النبوي »: (٢٦٨) ، « الإقناع »: (٩١/١) ، « الخرشبي »: (١٣٩/١) ، « السواك والعناية بالأسنان »: (٣٤) .

وذهب الحنابلة ، وابن حبيب المالكي ، وبعض العلماء إلى كراهة الاستيائك بعود الرمان والريحان ؛ لما روي عن قبيصة بن ذؤيب ، قال: قال رسول الله ﷺ (لا تخللوا بعود الريحان ولا الرمان ، فإنهما يحركان عرق الجذر) رواه محمد بن الحسن الأزدي الحافظ بإسناده ، وقيل الاستيائك بالريحان يضر لحم الفم ، « المغني »: (٩١/١) ، « الإقناع »: (١٩/١) ، « وغاية الطالبين »: (٤٥/١) ، « الخرشبي »: (١٣٩/١) ، الشرح الصغير بهامش بلغة السالك: (٤٨/١) . وحديث قبيصة ضعيف لا يحتج به ، انظر «التلخيص»: (٨٣/١) .

سواك النبي ﷺ:

كان سواك النبي ﷺ الأراك^(١) ، فقد روي عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: كنت أجتبي لرسول الله ﷺ سواكاً من أراك . فكانت الريح تكفؤه ، وكان في ساقيه دقة ، فضحك القوم ، فقال النبي ﷺ: (ما يضحكمكم ؟) ، قالوا: من دقة ساقيه ، قال النبي ﷺ: (والذي نفسي بيده لهما أثقل في الميزان من أحد)^(٢) . واجتباء الشيء أي اختياره واصطفاؤه^(٣) ، وابن مسعود رضي الله عنه لا يختار ويصطفي الأراك خاصة للرسول ﷺ إلا لعلمه أنه يفضلته ويختاره ، وأنه سواكه ، وورد من حديث أبي خيرة الصّبّاحي رضي الله عنه أنه قال: « كنت في الوفد الذين أتوا رسول الله ﷺ من عبد قيس فزودنا الأراك نستاك به ، فقلنا: يا رسول الله عندنا الجريد ، ولكن نقبل كرامتك وعطيتك ، فقال ﷺ: (اللهم اغفر لعبد قيس ، أسلموا طائعين غير مكرهين ، إذا قعد القوم لم يسلموا إلا حراباً موثورين) »^(٤) .

فسواك النبي ﷺ الأراك إلا أنه يستاك بغير الأراك عند فقد الأراك ، فقد استاك ﷺ بالجريد ، كما في نص دخول عبدالرحمن بن أبي بكر على النبي ﷺ وعائشة ، في مرض النبي ﷺ^(٥) .

(١) صحيح الترمذي بشرح ابن العربي المالكي: (٤٠/١) .

(٢) حسن . رواه أحمد في المسند: (٤٢٠/١) ، حديث (٣٩٩١) ، وأبو يعلى الموصلي في مسنده: (٢١٠/٩) ، والطيالسي: (٣٥٥) ، حديث (٢٥٦١) ، وأبو نعيم في « الحلية »: (١٢٧/١) ، قال الحافظ في « التلخيص »: (١٨٣/١) ، أخرجه ابن حبان وصححه الضياء في أحكامه . وحسنه الألباني في « الإرواء »: (١٠٤/١) ، وحسنه الهيثمي في « المجمع »: (٢٨٩/٩) .

(٣) « لسان العرب »: (١٣٠/١٢) .

(٤) انظر كتاب « المراعي »: (٢٣٩) ، نقلاً عن كتاب « السواك والعناية بالأسنان »: (٣٦) ،

(٣٧) ، وانظر « المخصص »: (٨٦/١١ ، ٨٧) ، « معجم النبات والزراعة »: (١٥٣/٢) .

(٥) رواه البخاري: (٤٣٨/٢) ، حديث (٨٩٠) ، انظر « الفتح » .

التعريف بشجرة الأراك:

شجرة الأراك من فصيلة الأشجار الأرابية (salvadoraceae) تنمو في الأماكن الحارة والاستوائية ، وتكثر عادة في أودية الصحارى ، وتكون قليلة في الجبال ، أما في المملكة العربية السعودية فهي توجد بكثرة ، وخاصة في منطقة عسير في جيزان وأبها ، وكذلك ينمو الأراك في طور سيناء ، وصعيد مصر والسودان ، وإيران ، وشرق الهند .

تشبه شجرة الأراك الرمان ، وفروع شجرة الأراك شائكة ، وأوراقها يضاوية ملساء متقابلة ، طولها من (٢ سم) إلى (٥ سم) ، وهي دائمة الخضرة طوال فصول السنة ، وإذا أكلت الماشية منها اكتسب لبنها رائحة طيبة .

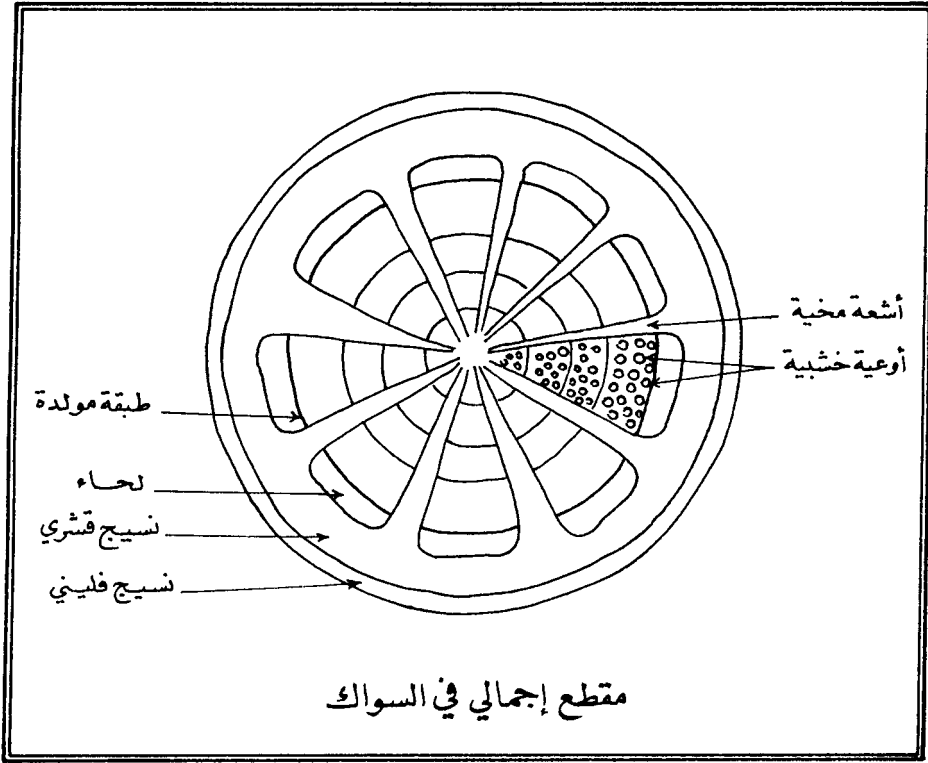
أما أغصان شجرة الأراك فكثيرة متشابكة ، وأزهارها صفراء مخضرة ، وثمرتها^(١) أكبر بقليل من حبة الحمص ، يكون لونها في أول الأمر أخضر وطعمها مر ، ثم تحمر فيحلوا طعمها ويكون فيه حروقة ، ثم تسود فتصبح حلوة الطعم حاذقة قليلاً ، وهي توكل بها بذرة واحدة ، وثمار الأراك تجمع على شكل عناقيد .

الفحص المجهرى لمقطع في السواك المأخوذ من شجرة الأراك:

قال الصيدلي ، صلاح الدين الحنفي في أبحاثه في رسالته الجامعية تحت إشراف الدكتور محمد زهير البابا أستاذ العقاقير في كلية الصيدلة بجامعة دمشق ، يقول الدكتور صلاح: « تُجرى مقطّعاً عرضياً في عود السواك ، بعد غليه ونقعه

(١) جاء في « المخصص » (١٨٦/١١ ، ١٨٧): وللأراك ثلاث ثمار: المرء، والكبات ، والبرير، فالكبات: ضخام تشبه التين ، والمرء: أشد رطوبة وليناً ، وهو على لون الكبات، واحده مرءة ، والبرير: واحده بريرة ، كالخز الصغار ، إلا أن لون الثمرة واحدة ، وهذا كله تأكله الناس والماشية ، وفيه حرارة على اللسان ، والنعت: أول ما يُثمر الأراك، واحده أنعر ، قال: وقال بعضهم البرير جنس ، والكبات جنس آخر أعظم حباً ، وأصغر عنقوداً ، وله عجمة مدورة صغيرة صلبة ، والكبات فوق حب الكسبرة في المقدار، والبرير أكبر من الحمص قليلاً ، وكلاهما ينبت أخضر مرأ ثم يحمر فيحلوا ، وفيه حروقة، ثم يسود فيزداد حلاوة ، وفيه بعض حرارة ، وليس للكبات عجم . وعنقود البرير يملأ الكف ، والكبات يملأ كفي الرجل ، وإذا رعتها الإبل وجدت رائحتها في ألوانها طيبة ، ويأكله كله الناس ، وقيل المرء الغض منه والكبات المدرك ، والبرير يجمعها ، وقيل: المرء والبرير واحدة ، وربما سمي الأراك عئاباً ، والأكثر إنه هذا الثمر المعروف

في مزيج الغؤل والماء والجليسرين بأقسام متساوية ، ونفحصه تحت المجهر فيين
لنا الطبقات التالية الموضحة في الرسم:



١- طبقة فليبية .

- ٢- نسيج قشري تتخلله بعض الخلايا المتصلة والألياف، وداخله حبيبات نشا.
- ٣- حزم لحائية خشبية تتألف من لحاء خارجي ، وطبقة مولدة (cambium) ، وأوعية خشبية: « وهي تشكل الألياف المنظمة للأسنان » ، حولها نسيج متخشب، وهذه الأوعية الخشبية والنسيج المتخشب تكون على عدة طبقات يفصل بين هذه الطبقات نسيج خاص ، كما يتضح من الرسم التفصيلي.
- ٤- أشعة مخية تفصل بين الحزم الخشبية اللحائية ، وتكون خلاياها مليئة بيلورات السيليس ، والحماضات ، وحبيبات النشا^(١).

(١) نقلاً عن كتاب: « السواك والعناية بالأسنان » : (٤٣ ، ٤٤) .

السواك والطب :

لقد أجرى العلماء العديد من الأبحاث والتجارب العلمية حول السواك المأخوذ من شجرة الأراك ، أسفرت هذه التجارب والأبحاث الكشف عن أسرار سواك الأراك ، وما يحتوى عليه من مواد ومركبات تعنى بصحة الفم . فهو غني بالمواد القابضة ، والمانعة لنزف الدم ، والعفونة ، والمطهرة ، والمنظفة ، والقاتلة للجراثيم .

ولبيان ما يحتوى عليه السواك من مواد ، ومركبات ، وألياف ، وفوائدها الوقائية والعلاجية نذكر ما يلي:

١- يحتوي السواك على مادة العفص ، ولهذه المادة تأثير مضاد للتعفنات والإسهالات ، كما يعتبر العفص مطهراً ، وله استعمالات مشهورة ضد نزيف الدم ، كما يطهر اللثة والأسنان ، ويشفي جروحها الصغيرة ، ويمنع نزيف الدم منها ^(١) . كما يعتبر العفص من المواد القابضة المقتوية للثة ^(٢) .

٢- هناك مواد في السواك لها علاقة بالخردل ، وهي عبارة عن جليكوزيد: مكونة من اتحاد زيت الخردل مع سكر العنب اليميني ، وهذه المادة تساعد على الفتك بالجراثيم ^(٣) .

٣- يحتوي على السنجرين ، وهو مادة مطهرة ^(٤) .

٤- وفي السواك زيوت نباتية مهمة تساعد في زيادة قابلية السواك على التنظيف والتعقيم ^(٥) .

٥- يحتوى على فيتامين - ج - ومواد راتنجية ، ومواد كيميائية طبيعية تعمل على إزالة التهابات اللثة ومقوية لها ، وضد نمو البكتريا ^(٦) .

٦- ويحتوي أيضاً على مادتي الثنين والريسين ، اللتين تكونان طبقة رقيقة

(١) « السواك والعناية بالأسنان » : (٤٥) .

(٢) « السواك » : (١٣) .

(٣) « السواك والعناية بالأسنان » : (٤٦) .

(٤) « السواك والعناية بالأسنان » : (١٣) .

(٥) « الطب الوقائي » : (٥٨) .

(٦) « الطب الإسلامي » : (٤٣٠) ، « الوجيز في الطب الإسلامي » : (١١٤-١١٥) .

- واقية؛ لشد اللثة ، وحفظ الأسنان من التسوس^(١) .
- ٧- ويحتوي على بعض الأملاح المعدنية، ونسبة عالية من الكلوريد، والفلورايد، والسليكا ، والكبريت ، والفلورين ، والسليكون ؛ وكلها مواد واقية من تسوس الأسنان ، كما أن السليكون مادة منظفة للترسبات بين الأسنان^(٢) .
- ٨- ويحتوي على زيوت، ومواد عطرية طيارة؛ تكسب الفم رائحة طيبة زكية^(٣) .
- ٩- وبه مواد تزيد من بياض الأسنان ، وشدة لمعانها ، ومزيلة للصفار الذي يعتريها^(٤) .
- ١٠- ويحتوي على قلويات ؛ تستعمل لتسكين آلام الأسنان^(٥) .
- ١١- ويحتوي على كلوريد الصوديوم ، وكلوريد البوتاسيوم ، وإكسالات الجير ، وفيه عدة عناصر بنسبة البنسلين ، تقتل الجراثيم^(٦) .
- ١٢- ويحتوي على مواد لإزالة طبقة البلاك^(٧) .
- ١٣- ويحتوي خشب السواك على ألياف سليلوزية طبيعية ؛ تعمل على تحريك فضلات الطعام الموجودة فوقه ، وبين الأسنان ، ويجري اللعاب في الفم ، فتزال هذه الفضلات حيث لا تعطي فرصة لتسوس الأسنان^(٨) .

- (١) « الطب الوقائي »: (٥٨) .
- (٢) « الطب الإسلامي »: (٤٣٠) ، « الإعجاز الطبي »: (١٩٤) ، « الطب الوقائي »: (٥٧، ٥٨) ، « حاشية الطب النبوي » للذهبي: (٤٧) ، « الوجيز في الطب الإسلامي »: (١١٤) .
- (٣) « حاشية الطب النبوي » للذهبي: (٤٧) ، « الطب النبوي والعلم الحديث »: (١٨٩/١) ، « الإعجاز الطبي »: (١٩٤) ، « الطب الإسلامي »: (٤٣٠) ، « السواك »: (١١) ، « الوجيز في الطب الإسلامي »: (١١٥) .
- (٤) « الطب الإسلامي »: (٤٣٠) ، « حاشية الطب النبوي » للذهبي: (٤٧) ، « الوجيز في الطب الإسلامي »: (١١٥) .
- (٥) « الطب الوقائي »: (٥٨) .
- (٦) « السواك والعناية بالأسنان »: (٤٧، ٤٩) .
- (٧) « الإعجاز الطبي »: (١٩٤) .
- (٨) « الطب الإسلامي »: (٤٣٠) .

١٤- ويحتوي على بلورات السيليس التي تفيد كمادة منظفة ، وزالقة للأوساخ ، وهي بسبب صلابتها تحك القلح عن الأسنان^(١) .

١٥- وعندما درس خبراء طب الأسنان تلك الطبقة البكتيرية من الأسنان ، والتي أطلقوا عليها اسم (dental plaque) ، التي لا تصلها شعيرات فرشاة الأسنان الصناعية ، فتستقر بقايا الطعام بينها ، ومنها تبدأ متاعب الفم ، وأمراض اللثة ، نلاحظ أن شعيرات السواك الطبيعى لديها القدرة على الوصول إلى تلك الطبقة بمنتهى السهولة ، والفاعلية حيث تساعد كثيراً في زيادة التخلص من بقايا الطعام بين الأسنان^(٢) .

١٦- وفي مجال وقاية ألياف السواك يقول الدكتور ظافر العطار، بجامعة دمشق: « إن تركيب هذا النبات: هو ألياف حاوية علي بيكربونات الصوديوم، وبيكربونات الصوديوم: هي المادة المفضلة لاستعمالها في المعجون السنّي من قبل مجمع معالجة الأسنان التابع لجمعية طب الأسنان الأمريكية؛ لتستعمل كمادة سنية وحيدة ، تقي من العضويات المجهرية التي تغزوا فرشاة الأسنان، وتوجد مواد أخرى ، مثل العفص الذي يساعد في حالات الالتهاب »^(٣) .

ومن التجارب التي أجريت للكشف عن فوائد السواك ما يلي:

١- تمّ جمع لعاب عشرين رجل وامرأة قبل استعمال السواك وبعده ، بفترات زمنية متعاقبة (وعند الفحص) ثبت أن استعمال المواد الطبيعية للسواك له تأثير قوي مضاد للميكروبات القاطنة بالفم والأسنان ، ويمتد هذا التأثير إلى ما لا يقل عن خمس ساعات بعد استعمال السواك ؛ كما ثبت أيضاً انخفاض معدل الميكروبات في اللعاب انخفاضاً كبيراً بعد استعمال السواك ، وقد قورن هذا المفعول الممتد بتأثير معاجين الأسنان التقليدية حيث أظهرت الأخيرة عدم فاعليته، وهذا يدل على أن السواك يفوق أية مستحضرات مطهرة للفم ، والتي يكون تأثيرها لحظات قليلة فقط خلال استعمالها في الفم ، وتنتهي بمجرد غسل

(١) « الطب النبوي والعلم الحديث » : (١٨٩/١) ، « السواك والعناية بالأسنان » : (٤١) .

(٢) « الطب الإسلامي » : (٤٣١) .

(٣) انظر « السواك والعناية بالأسنان » : (٤٨) .

الفم، أو الشرب مباشرة^(١) . وبعد عشرين دقيقة فقط من استعمال معجون الأسنان تعود الجراثيم كما كانت^(٢) .

يقول الدكتور عبدالعزيز عبدالرحيم: « توصل البحث إلى أن خلاصات السواك تقضي على خمس وعشرين نوعاً من الميكروبات القاطنة في الفم ، والغلالية اللعابية المغلفة للأسنان (طبقة البلاك) ، والتي تشكل السبب الرئيسي لإصابات الأسنان بالتسوس ، واللثة بالالتهابات »^(٣) .

وعلق مؤلف « كتاب الإعجاز الطبي في القرآن » بعد ذكر التجربة قائلاً:

« لقد توصل إلى أن السواك ذو نظام وقائي متكامل ، وتأثيرات متعددة مطهرة لصحة الفم والأسنان ، وإلى أنه يعتمد في تأثيره على عدة مركبات فعالة يمكن أن يطلق عليها (المركبات الأم)، والتي تفرز في الفم مركبات فعالة ، مثل الصابونات، والرتينجات، ومواد الكبريت، والفلورايد وغيرها، وهذه المواد تتفاعل مع بعضها، ومع الأسنان لتتكامل، ويكفل ثباتها، ويعطي تأثيرات بيولوجية متعددة الجوانب ، مثل إزالة طبقة البلاك ، وتقوية اللثة وصنفرة طبقة حامية الأسنان، والوقاية من ميكروبات التسوس، وعلاج النزيف، وقرحة اللثة»^(٤) .

٢- قال العالم رودات: وهو مدير معهد الجراثيم والأوبئة في جامعة روستوك بألمانيا الديمقراطية سابقاً: « قرأت عن السواك الذي يستعمله العرب ، كفرشاة أسنان في كتاب لرحالة زار بلاد العرب ، وعرض الكاتب الأمر بإسلوب ساخر لاذع اتخذه دليلاً على تأخر هؤلاء الناس الذين ينظفون أسنانهم بقطعة من الخشب في القرن العشرين ، ولكن أخذت المسألة من وجهة نظر أخرى ، وفكرت لماذا لا يكون وراء هذه القطعة من الخشب - ودعني أسميها فرشاة الأسنان العربية - حقيقة علمية ؟ وتمنيت لو استطعت إجراء التجارب عليها ضمن تجاربي الأخرى التي أجريتها على غيرها . ثم حانت الفرصة حينما سافر زميل لي من العاملين في حقل الجراثيم ، وهو الدكتور هورن في بعثة علمية إلى

(١) « الإعجاز الطبي في القرآن »: (١٩٣) .

(٢) « السواك »: (١) .

(٣) « الإعجاز الطبي »: (١٩٤) .

(٤) « الإعجاز الطبي »: (١٩٤) .

السودان ، وعاد ومعه مجموعة منها ، وفوراً بدأت في إجراء أبحاثي عليها . حيث سحقتها ، وبللتها ، ووضعت المسحوق المبلل على مزارع الجراثيم ، فظهرت على المزارع آثار كتلك التي يقوم بها البنسلين .

إن هناك حكمة كبيرة من استعمال العرب السواك بعد بله بالماء ؛ لأن استعماله جافاً لا ينصح العمل به ، لما يحويه من مادة مضادة للجراثيم قد لا تتحلل بسرعة عندما يكون جافاً ، ولهذا لو استعمل جافاً فإنّ اللعاب أيضاً يمكنه حل هذه المادة .

أما الحكمة الثانية ، فهي في تغيير السواك من حين لآخر - أي فرشاته - وذلك ؛ لأنه يفقد مادته الهامة المقاومة للجراثيم بطول الاستعمال ^(١) .

٣- لقد قامت وزارة الصحة الكويتية بإجراء بحث على ثمانين شخصاً قسموا إلى أربع مجموعات ، تكونت كل مجموعة من عشرين شخصاً ، واستعملت المجموعة الأولى السواك فقط في تنظيف الأسنان ، بينما استخدمت المجموعة الثانية مسحوق خشب السواك ، والمجموعة الثالثة مسحوق أسنان تجاري ، أما المجموعة الرابعة فاستعملت مادة النشا في النظافة اليومية للفم والأسنان ^(٢) .

وجاءت نتائج هذه التجربة: بأن المجموعة الأولى التي استعملت السواك يومياً قبل الصلاة بصورة منتظمة - كما ورد في تعاليم الرسول ﷺ - اكتسبت درجة عالية من نظافة الفم، ونعومة الأسنان، وصلابة بناتها، وزيادة نشاط الأوعية الدموية باللثة، وقوة خلايا أنسجة اللثة، أما المجموعة الثانية التي استعملت مسحوق السواك فقد وصلت إلى درجة عالية من نظافة الفم والأسنان، وإزالة الالتهابات، وذلك بالمقارنة مع المسحوق التجاري الذي استعمل في المجموعة الثالثة والرابعة ^(٣) .

وهذه بعض التجارب التي أجريت على السواك .

(١) «مجلة المجلة» العدد الرابع ، نقلاً عن كتاب « السواك والعناية بالأسنان » : (٤٧) ،

وانظر «الطب النبوي والعلم الحديث»: (١٨٩/١) ، «الطب الإسلامي»: (٤٣١) ، ملخصاً.

(٢) « الطب الإسلامي » : (٤٣١).

(٣) « الطب الإسلامي » : (٤٣٢).

دلك اللثة واللسان بالسواك :

إن ذلك اللثة واللسان بالسواك يساعد على تنشيط الدورة الدموية ^(١) ، ويزيد من حيوية الأنسجة وينشطها ؛ ذلك لأن الدلك الخفيف يسبب ضغطاً على الأوعية الدموية الشعرية فيخرج الدم منها إلى الأوعية الأكبر حجماً ، وعند رفع الضغط تملأ الأوعية مرة ثانية بالدم وهكذا ، فبذلك تنشط دورات الدم ، وتزداد مرونة الأوعية الشعرية ، ويزيد الوارد الدموي للأنسجة ^(٢) .

كذلك فإن الدلك يزيد من التقرن اللثوي الموجود في الطبقة السطحية للغشاء المخاطي ، وهذه الطبقة تقاوم التأثيرات الخارجية ، وضغط المضغ ، وتحافظ على ما تحتها من أنسجة ، فلذلك يزيد تقرنها ، وبالتالي تقوى وتزداد مناعتها ، ومحافظة على ما تحتها ، ومقاومتها للإلتان والالتهابات اللثوية ^(٣) .

وكذلك ذلك ونظافة السطح العلوي للسان مهم جداً ؛ لأن سطح اللسان الخشن فيه نتوءات ، وحليمات ، وشقوق كثيرة تتجمع بها الأوساخ ، ومن المحتمل أن يكون به شقوق عميقة خلقية تكون مخبأ للفضلات والجراثيم ^(٤) .

السواك للنساء :

واستحباب السواك ليس مقصوراً على الرجال فقط ، بل هو مستحب للرجال والنساء على السواء ، إذ لم يرد ما يدل على خصوصية السواك للرجال ، بل جاء الدليل باستحبابه للرجال والنساء ، كما في حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال : (لولا أن أشق على أمتي ؛ لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة) ، وفي رواية : (مع كل وضوء) ^(٥) . ومن البدهي أن النساء المسلمات من جملة أمة محمد ﷺ .

وذهب الحنفية إلى أن العلك تقوم مقام السواك بالنسبة للمرأة مع القدرة على

(١) « السواك » : (١١) .

(٢) « السواك والعناية بالأسنان » : (٢٠٢) .

(٣) « السواك والعناية بالأسنان » : (٢٠٣) .

(٤) المرجع السابق .

(٥) سبق تخريجه .

استعمال السواك ؛ وذلك لأن المواظبة على السواك تضعف أسنان المرأة ^(١) .

والذي ذهب إليه الحنفية لا دليل عليه ، وأما قولهم أن المواظبة على السواك تضعف أسنان المرأة ، فغير صحيح وهذا واضح ، فالذي ينطبق على الرجال من أحكام السواك ينطبق على النساء .

الأوقات التي يستحب فيها السواك :

يستحب السواك في كل وقت ؛ لعموم الأحاديث الواردة عن النبي ﷺ منها ما روي عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال : (السواك مطهرة للفم مرضاة للرب) ^(٢) .

وعن أنس - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال : (أكثرت عليكم في السواك) ^(٣) .

ويتأكد استحباب السواك في مواضع هي :

١- عند الصلاة ، فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال : (لولا أن أشق على أمتي ، لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة) ، وفي رواية : (مع كل وضوء) ^(٤) .

٢- عند الوضوء والتيمم والغسل ^(٥) ، أما عند الوضوء ، كما في حديث أبي

(١) «رد المحتار» : (٢٣٦/١) .

(٢) صحيح . انظر سنن النسائي : (١٠/١) ، سنن البيهقي : (٣٤/١) ، صحيح ابن خزيمة : (٧٠/١) ، حديث (١٣٥) ، سنن الدارمي : (١٨٤/١) ، حديث (٦٨٤) ، مصنف ابن أبي شيبة : (٨٦/١) ، وانظر «إرواء الغليل» : (١٠٥/١) ، وغيرهم .

(٣) انظر صحيح البخاري : (٢٦٦/١) ، حديث (٨٨٨) ، سنن النسائي : (١١/١) ، سنن البيهقي : (٣٥/١) ، مصنف ابن أبي شيبة : (١٩٨/١) ، سنن الدارمي : (١٨٤/١) ، حديث (٦٨١) .

(٤) سبق تخريجه .

(٥) «بلغة السالك» : (٤٩/١) ، «حاشية العدوي بهامش الخرشبي» : (١٣٩/١) ، «نهاية المحتاج» : (١٧٨/١) ، حواشي الشرواني والعبادي على «التحفة» : (٢٢٥/١) ، «الإنصاف» : (١١٩/١) ، «ونيل الأوطار» .

هريرة السابق ، أما عند التيمم ، فهو بدل الوضوء والغسل ، وأما عند الغسل ، فإنه يشمل الوضوء أيضاً ، والغسل أعم من الوضوء .

٣- عند القيام من النوم ، فعن حذيفة رضي الله عنه قال: « كان رسول الله ﷺ إن قام من الليل يشوص فاه بالسواك » ، وفي رواية: « قام من الليل ليتجهج »^(١) . وعن عائشة رضي الله عنها قالت: « كان رسول الله ﷺ لا يرقد ليلاً ولا نهاراً ، فيستيقظ إلا تسوك قبل أن يتوضأ »^(٢) .

٤- عند تغير رائحة الفم ، ودليله حديث حذيفة السابق ، ولأن الإنسان إذا نام ينطبق فوه فتتغير رائحته ، والسواك مشروع لإزالة رائحة الفم وتطيبه^(٣) .

٥- عند دخول البيت ، فعن شريح قال: قلت لعائشة - رضي الله عنها -: « بأي شيء كان يبدأ رسول الله ﷺ إذا دخل بيته ؟ قالت: بالسواك »^(٤) .

٦- عند الانصراف من صلاة الليل ، فعن ابن عباس - رضي الله عنه - قال: « كان رسول الله ﷺ يصلي بالليل ركعتين ركعتين ثم ينصرف فيستاك »^(٥) .

٧- عند قراءة القرآن ، فعن علي - رضي الله عنه - قال: « إن أفواهكم طرق للقرآن فطيبوها بالسواك »^(٦) .

(١) سبق تخريجه .

(٢) حسن دون قوله « ولانهاراً » ، انظر صحيح أبي داود: (١٤/١) ، حديث (٥١) ، رواه أبو داود: (١٥/١) ، حديث (٥٨) .

(٣) « المغني »: (٩٠/١) .

(٤) انظر صحيح مسلم: (٢٢٠/١) ، حديث (٤٤/٤٣) ، حديث (٥١) ، سنن النسائي: (١٣/١) ، سنن البيهقي: (٣٤/١) ، سنن ابن ماجه: (١٠٦/١) ، حديث (٢٩٠) ، صحيح ابن خزيمة: (٤٠/١) ، مصنف ابن أبي شيبة: (١٩٥/١) ، مسند أحمد ، ومسند أبو عوانة: (١٩٢/١) .

(٥) صحيح . رواه ابن ماجه: (١٠٦/١) ، حديث (٢٨) ، انظر صحيح ابن ماجه: (٥٣/١) ، حديث (٢٣٤) .

(٦) ضعفه الحافظ ابن حجر في « التلخيص »: (٨٠/١) ، وصححه الألباني انظر « صحيح ابن ماجه »: (٥٣/١) ، حديث (٢٣٦) . قال الحافظ: رواه أبو نعيم وأوقفه ابن ماجه ، ورواه أبو مسلم اللخمي في السنن ، وأبو نعيم من حديث الوضين وفي إسناده مندل ، وهو ضعيف .

أين يستاك :

ويكون السواك على الأسنان ، واللسان ، واللثة ، وسقف الحلق ^(١) . أما على الأسنان فواضح ، وأما على اللسان ففيه حديث أبي بردة عن أبيه رضي الله عنه قال: « أتينا رسول الله ﷺ فرأيتَه يستعمله يستاك على لسانه » ^(٢) . لأن اللسان فيه شقوق قد ترسب الفضلات فيه ، وأما على اللثة وسقف الحلق ، فقياساً على الأسنان واللسان ؛ ولأن الفضلات قد ترسب عليها ، ولما في سواكها من فوائد طيبة وصحية ، ينتها في فوائد السواك .

من آداب السواك :

١- من آداب السواك أن يبدأ بالسواك في شق الفم الأيمن ؛ لحديث عائشة رضي الله عنها قالت: « كان رسول الله ﷺ يعجبه التيامن في تنعله وترجله وطهوره وفي شأنه كله » ^(٣) .

٢- غسل السواك بالماء ليزيل ما عليه ؛ لما ورد عن عائشة رضي الله عنها قالت: « كان رسول الله ﷺ يعطيني السواك أغسله ، فأبدأ به فأستاك ، ثم أغسله ، ثم أدفعه إليه » ^(٤) .

ويفضل أن يكون السواك ليناً ينقي الفم ، ولا يجرحه ولا يضره ، وأن لا يكون من الليونة بحيث لا يزيل قلع الأسنان ، كما يفضل أن يكون السواك ثخيناً طويلاً ؛ لأنه أبلغ في التنظيف .

(١) «روضة الطالبين»: (١٦٧/١)، «نهاية المحتاج»: (١٧٨/١)، «الإنصاف»: (١١٨/١)،

«المبدع»: (١٠٢/١) ، «التنقيح المشيع»: (٢٥) .

(٢) صحيح . رواه أبو داود: (١٣/١)، حديث (٤٩) ، انظر صحيح أبو داود: (١٢/٩)، حديث (٣٩) .

(٣) رواه البخاري: (٦٢/١)، مسلم: (٢٢٦/١)، حديث (٦٧)، أبو داود: (٦٨/٤)، حديث (٤١٤٠) ، وقال أبو داود: قال مسلم - وهو أحد شيوخ أبي داود - : (وسواكه) . وقال الشيخ تقي الدين: « وهو - أي هذا الحديث - عام مخصوص ؛ لأن دخول الخلاء والخروج من المسجد ونحوهما باليسار » . وانظر: « فتح الباري »: (٣٢٤/١) .

(٤) صحيح . رواه أبو داود: (١٣/١) ، انظر صحيح أبي داود: (١٢/١) .

وقبل استعمال سواك الأراك تزال الطبقة الفلينية الخارجية ، وتباعد الألياف الخارجية عن طريق الدق والضرب مثلاً ، حتى تصبح كالفرشاة ، وحتى تتمكن المواد التي يحتوي عليها من التفاعل والتأثير في الفم ، وحتى لا يؤذي الفم .

كيفية الاستيأك :

ذهب الأئمة الأربعة إلى أن الاستيأك عرضاً ^(١) ، وكيفيته عند المالكية والشافعية أن يبدأ بجانب فمه الأيمن ، ويذهب إلى الأوسط ثم إلى الأيسر ، ويكره الاستيأك طويلاً بالنسبة للأسنان عند الشافعية والمالكية ^(٢) .

وكيفية الاستيأك عرضاً عند الحنابلة أن يبدأ بجانب فمه الأيمن من ثناياه إلى أضراسه بيساره ^(٣) . واستدلوا على الاستيأك عرضاً بما يلي :

١- ما روي عن النبي ﷺ أنه قال : (إذا استكتم فاستاكوا عرضاً) ، وعدة أحاديث أخرى بهذا المعنى ^(٤) .

٢- عن حذيفة رضي الله عنه قال : « كان رسول الله ﷺ إذا قام من الليل

(١) « رد المحتار » : (١٣٥/١) ، « الخرشي » : (١٣٩/١) ، « مواهب الجليل » : (١٦٤/١) ، « الشرح الصغير بهامش بلغة السالك » : (١٤٨/١) ، « مغني المحتاج » : (١٧٨/١) ، (١٧٩) ، « إعانة الطالبين » : (٤٤/١) ، « المجموع » : (١٨١/١) ، « الإقناع » : (١٩١/١) ، « التفتيح المشيع » : (٢٥) .

(٢) « نهاية المحتاج » : (١٧٩/١) ، « الخرشي » : (١٣٩/١) ، « مواهب الجليل » : (٣١٤/١) .

(٣) « الإقناع » : (١٩/١) .

(٤) كل الأحاديث التي وردت في الاستيأك عرضاً ضعيفة لم يثبت منها شيء ، ولا يتقوى بعضها ببعض ، قال أبو زرعة العراقي : « حديث عائشة قالت كان النبي ﷺ يستاك عرضاً ولا يستاك طويلاً . إسناده ضعيف » ، وروى أبو داود في مراسيله من حديث عطاء ابن أبي رباح قال : قال رسول الله ﷺ : (إذا شربتم فاشربوا مصاً ، وإذا استكتم فاستاكوا عرضاً) ، وروى ابن منده في الصحابة من حديث بهز قال : « كان رسول الله ﷺ يستاك عرضاً » . ورواه البيهقي وقال : إنما يعرف بهز بهذا الحديث ، وروى البيهقي أيضاً من حديث ربيعة بن أكرم قال : « كان رسول الله ﷺ يستاك عرضاً » .. الحديث . وقال : ربيعة بن أكرم استشهد بخير ، فعلى هذا يكون منقطعاً ؛ لأنه من رواية ابن المسيب عنه ، انظر « طرح التثريب » : (٦٩/١) ، وضعفه الحافظ في « التلخيص » : (٧٦/١ ، ٧٧) .

ليتهجد يشوص فاه بالسواك «^(١).

قالوا: والشوص هو الاستياك عرضاً^(٢).

٣- ولأن السواك طولاً من أطراف الأسنان إلى عودها ربما أدمى اللثة ، وأفسد العمود^(٣) . قال إمام الحرمين والغزالي: يستاك عرضاً وطولاً فإن اقتصر فعرضاً^(٤).

وقال علماء طب الأسنان أن هذه الطريقة هي أفضل الطرق في الاستياك ؛ لأنها لا تؤذي اللثة ، ولا تدميها ، بينما الاستياك عرضاً يدمي اللثة ويؤذيها .

والذي يتبين أن الاستياك يكون ، كما هو في الرسم ، وكما يكون عرضاً بشرط أن لا يؤذي اللثة ، فإذا كان الاستياك عرضاً ، أو كما هو موضح بالرسم يؤذي اللثة فلا تستخدم عندئذ ، والذي يتضح من التجربة أن الاستياك عرضاً ، أو كما هو موضح بالرسم لا يؤذي اللثة بشكل عام .

وأما حديث الاستياك عرضاً فضعيف ، وأما حديث حذيفة فلا دلالة فيه ؛ لأن الشوص^(٥) هو: الغسل والتنظيف، وأما القول بأن الاستياك طولاً يدمي اللثة ، ويفسد العمود، فغير صحيح، وقد بُيِّنَ ذلك في العرض السابق للمسألة.

(١) صحيح رواه البخاري: (٢٦٦/١) ، حديث (٨٨٩)، مسلم: (٢٢٠/١) ، حديث (٤٦) ، النسائي في السنن: (٨/١) ، ابن ماجه: (١٠٥/١) ، حديث (٢٨٦) ، أبو داود: (١/١٥) ، حديث (٥٥) ، البيهقي في السنن: (٣٨/١) ، الدارمي: (١٨٥/١) ، حديث (٦٨٥) ، ابن خزيمة: (٧٠/١) ، حديث (١٣٦) ، مصنف ابن أبي شيبة: (١٩٥/١) ،

أحمد في المسند: وأبو عوانة: (١٩٣/١).

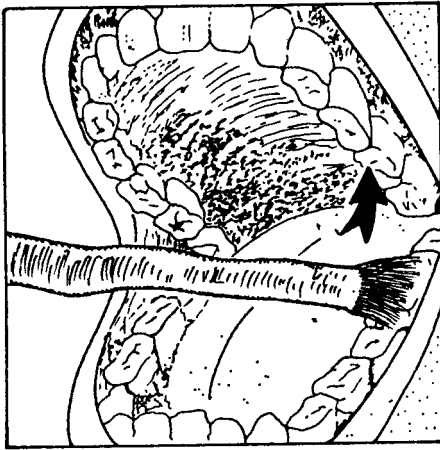
(٢) انظر صحيح الترمذي بشرح ابن العربي المالكي: (٤٠/١) .

(٣) « المغني »: (٩١/١) ، وانظر صحيح الترمذي بشرح ابن العربي المالكي: (٤٠/١) .

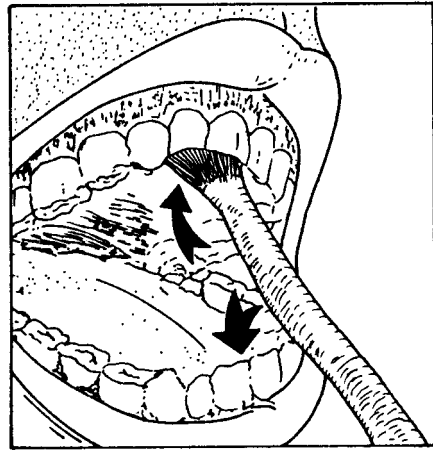
(٤) « المجموع »: (٢٨١/١) ، « إحياء علوم الدين »: (١٥٨/١) .

(٥) الشوص: الغسل والتنظيف ، شاص الشيء شوصاً: غسله ، وشاص فاه بالسواك يشوصه شوصاً: غسله ، عن كراع ، وقيل: أمره على أسنانه عرضاً ، وقيل: هو أن يفتح فاه ويُمره على أسنانه من سفلى إلى علو، وقيل: هو أن يطعن به فيه ، وقال أبو عمرو: «هو يشوص أي يستاك» ، وقال أبو عبيدة: « شصت الشيء نقيته» ، وقال ابن الأعرابي: « شوصه ذلك أسنانه وشذقه ، وأنقاؤه » ، قال أبو عبيد: « الشوص الغسل . وكل شيء غسلته فقد شصته تشوصه شوصاً » ، قال أبو زيد: « شاص الرجل سواكه يشوصه إذا مضغه واستن به فهو شائص » . انظر « لسان العرب »: (٢٣٦-٢٣٧) .

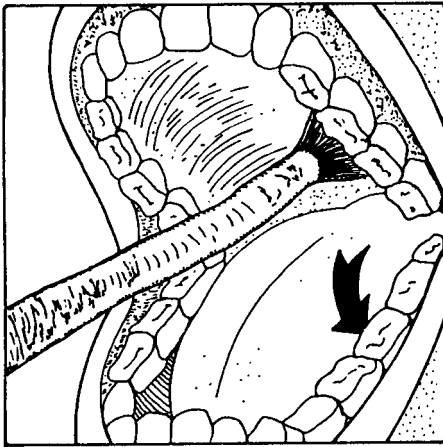
وتوصل العلماء المختصون في العصر الحديث أن الاستياك يكون كما هو موضح بالرسم:



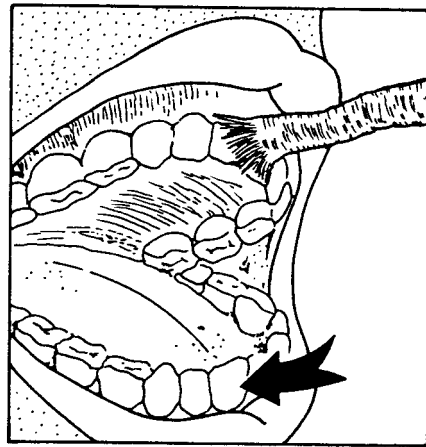
الأسطح الإطباقية الماضغة: تسوك دائرياً بطريقة الدعك والفرك، كما هو مبين في الصورة.



الأسطح الداخلية للأسنان الأمامية: يكون سواكها، بوضع ألياف السواك على حواف اللثة الملاصقة لأعناق الأسنان، ثم يسحب السواك نحو طرف القاطع للأسنان، ويكرر ذلك.



الأسطح الداخلية للأسنان الخلفية (الأضراس) تسوك الأسطح الداخلية للأسنان الخلفية العلوية والسفلية، كما هو مبين في الصورة.



الأسطح الخارجية للأسنان: تسوك باتجاه رأسي لمحور السن واللثة؛ لتنشيط الدورة الدموية، والسواك الفعال دون أذى يكون بـ:
1- الأسنان العلوية: من أعلى إلى أسفل شاملة حواف اللثة.

ب- الأسنان السفلية: من أسفل إلى أعلى شاملة حواف اللثة.

استعمال سواك الغير :

ويجوز استعمال سواك الغير برضاه ؛ لفعل رسول الله ﷺ ذلك ، وأمره به ، فعن عائشة رضي الله عنها قالت : « دخل عبدالرحمن بن أبي بكر ومعه سواك (وفي روايه : من جريد النخل) يستن^(١) به ، فنظر إليه رسول الله ﷺ ، فقلت له : أعطني هذا السواك يا عبدالرحمن ، فأعطانيه ، فقمضته ثم مضغته فأعطيته رسول الله ﷺ ، فاستن به ، وهو مستند إلى صدري^(٢) . وروي عنها أيضاً أنها قالت : « كان النبي ﷺ يستاك ، فيعطيني السواك ؛ لأغسله فأبدأ به فاستاك ثم أدفعه إليه^(٣) . وروي عنها أيضاً أنها قالت : « كان رسول الله ﷺ يستن ، وعنده رجلان أحدهما أكبر من الآخر ، فأوحي إليه في فضل السواك (أن كبر) ، أعط السواك أكبرهما^(٤) . وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : (أراني أتسوك فجاء رجلان أحدهما أكبر من الآخر ، فناولت السواك الأصغر منهما ، فقبل لي كبر ، فدفعته إلى الأكبر^(٥) .

فهذه الأحاديث واضحة الدلالة على جواز استعمال سواك الغير ، بل فيها استحباب إعطاء الصغير السواك لمن هو أكبر منه ليستاك به .

(١) يستن: أي يستاك ؛ لأن السواك يمر على الأسنان ، أو أنه يحدد الأسنان ويقويها .

(٢) رواه البخاري: (٤٣٨/٢) ، حديث (٨٩٠) ، وانظر «الفتح» .

(٣) صحيح . رواه أبو داود: (١٣/١) ، انظر صحيح أبي داود: (١٢/١) .

(٤) صحيح . رواه أبو داود: (١٣/١) ، انظر صحيح أبي داود: (١٢/١) .

(٥) قال الألباني: أخرجه البخاري تعليقاً: (٢٨٤/١) ، والبيهقي: (٤٠/١) ، وهذا إسناد صحيح ، وهو بظاهره يدل على أن القضية وقعت مناماً خلا رواية أسامة ، وهي حديث ابن عمر رضي الله عنهما ، قال: رأيت رسول الله ﷺ يستن فأعطاه أكبر القوم، ثم قال: (إن جبريل أمرني أن أكبر) ، رواه أحمد في المسند: (٥٠٤/٢) ، حديث (٦٢٣٤) ، والبيهقي: (٤٠/٢) ، وقال الألباني: ضعيف . فيه نعيم بن حماد فإنه ضعيف ، وإتهمه بعضهم ، ولكنه يتقوى بحديث عائشة: « أن رجلين كانا عند رسول الله ﷺ .. الحديث ، لكن الحافظ جمع بينهما ، فقال: « إن ذلك لما وقع في اليقظة أخبرهم رسول الله ﷺ بما رآه في النوم تنبيهاً على أن أمر بذلك بوحي متقدم » .

انظر « سلسلة الأحاديث الصحيحة »: (٧٦/٤) .

تسوك المتوضئ بإصبعه عند الوضوء :

يستحب السواك عند الوضوء ، كما مر ذلك ، ولكن هل تأتي السنة في الاستيأك بالإصبع؟! ذهب فريق من العلماء إلى أن السنة تؤدى بالاستيأك بالإصبع مطلقاً ، وهذا في قول عند الشافعية ، بشرط أن تكون الإصبع خشنة ، وكذلك في قول عند الحنابلة ، وقالوا: إن السنة تتأدى بقدر ما يحصل من الإنقاء .

وذهب الحنفية والمالكية والشافعية في قول ، أن السنة تتأدى بالاستيأك بالإصبع إذا لم يوجد غيرها^(١) . واستدلوا بما يلي:

١- عن أنس - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال: (يجرئ من السواك الأصابع)^(٢) .

٢- عن أنس - رضي الله عنه - أن رجلاً من الأنصار من بني عوف قال: يا رسول الله: إنك رغبتنا في السواك ، فهل دون ذلك من شيء ؟ قال: (إصبعك عند وضوئك تمرهما على أسنانك)^(٣) .

٣- عن علي - رضي الله عنه - : « أنه دعى بكوز من ماء فغسل وجهه وكفيه ثلاثاً وتمضمض ، فأدخل بعض أصابعه في فيه » ... وفي آخره ، «وهو وضوء رسول الله ﷺ»^(٤) .

٤- عن عائشة رضي الله عنها قالت: « يا رسول الله الرجل يذهب فوه أيستاك؟

(١) « رد المحتار »: (١٣٦/١) ، «البنية»: (١٥٠/١) ، « مراقي الفلاح »: (٢٨) ، « مواهب الجليل »: (٢٦٤/١) ، «الخرشي»: (١٣٩/١) ، «بلغة السالك لأقرب المسالك»: (٤٨/١) ، « نهاية المحتاج »: (٧٨٠/١) ، « المجموع »: (١٨٢/١) ، «المبدع»: (١٠٢/١) ، «الإنصاف»: (١٢٠/١) .

(٢) ضعيف . رواه البيهقي وضعفه: (١٤٠/١) ، وابن عدي في « الكامل »: (٣٣٤/٥) ، وضعفه الألباني في «الإرواء»: (١٠٧/١) ، والحافظ ابن حجر في « التلخيص »: (١٨/١) .

(٣) ضعيف . رواه البيهقي: (٤٠/١) : وضعفه الألباني في « الإرواء »: (١٠٧/١) .

(٤) ضعيف . رواه أحمد: (٣٣٢/١) ، حديث (١٣٥٥) ، فيه مختار بن نافع التيمي ، ويقال العكلي ، قال البخاري والنسائي وأبو حاتم: منكر الحديث ، وقال ابن حبان: كان

يأتي بالمناكير عن المشاهير . انظر « تهذيب الكمال »: (٣٢٢/٢٧) .

قال: (نعم) ، قلت: كيف يصنع . قال: (يُدخل أصبعه فيه)^(١) .

وذهب الشافعية في الأصح عندهم ، والحنابلة في الراجح إلى أنه إذا استاك بالإصبع لم يصب السنّة ؛ لأنه لم يرد الشرع بذلك ، ولا يحصل الانتقاء به حصوله بالعود^(٢) ، والأحاديث التي استدلوا بها ضعيفه .

السواك لمن لا أسنان له :

يسن السواك لمن لا أسنان له . فيستاك على اللثة واللسان وسقف الحلق ؛ لأن الحكمة من السواك تنطبق على من له أسنان ومن لا أسنان له ، وفي السواك معنى العبادة ، وليحصل له ثواب السنّة^(٣) .

وذكر الحنفية^(٤) أن الحزمة الخشنة ، أو الإصبع يقوم مكان السواك لفاقد الأسنان ، وقد يستدلون بحديث عائشة رضي الله عنها ، قالت: « يا رسول الله الرجل يذهب فوه أيساك ؟ قال: (نعم) ، قلت : كيف يصنع ، قال : (يدخل أصبعه في فيه) »^(٥) . وهو حديث ضعيف .

والذي يظهر أن استيائك فاقد الأسنان يكون بالسواك ، كما هو الحال في صاحب الأسنان ؛ لأن السواك هو آلة الاستيائك ، فيكون لصاحب الأسنان ، وفاقدها ، بحيث أنه لا يؤذي أسنانه ولثته .

(١) ضعيف . رواه الطبراني ، وضعفه الحافظ في « التلخيص »: (٨١/١) .

(٢) «نهاية المحتاج»: (١٨٠/١) ، «المجموع»: (٢٨٢/١) ، «الإقناع»: (١٩/١) ، «المقنع مع الحاشية»: (٣٣) ، «المبدع»: (١٠٢/١) ، «الإنصاف»: (١٢٠/١) ، «التنقيح المشيع»: (٢٥) ، «المغني»: (٩١/١) .

(٣) «رد المحتار»: (٢٣٦/١) ، «بذّر المتقى» بهامش مجمع الأنهر: (١٣/١) ، «مراقي الفلاح»: (٢٨) ، «بلغة السالك»: (٤٩/١) ، «إعانة الطالبين»: (٤٤/١) ، حواشي الشرواني وابن قاسم على «التحفة»: (٢٢٤/١) ، «التحفة» بهامش حواشي الشرواني وابن قاسم العبادي: (٢٢٢/١) ، «فتح العين» بهامش إعانة الطالبين: (٤٥/١) ، «الإنصاف»: (١١٨/١) .

(٤) «مراقي الفلاح»: (٢٨) ، «بذّر المتقى» بهامش مجمع الأنهر: (١٣/١) .

(٥) رواه الطبراني ، وفيه عيسى بن عبدالله الأنصاري ، وقال الطبراني: لا يرويه إلا بهذا الإسناد ، قال الحافظ: فيه عيسى ضعفه ابن حبان ، وذكر له ابن عدي هذا الحديث من مناكيره . انظر «نيل الأوطار»: (١٢٧/١) ، وضعفه الحافظ في «التلخيص»: (٨١/١) .

هل يمسك السواك باليد اليمنى أم اليسرى :

ذهب الحنفية والمالكية والشافعية وبعض متأخري الحنابلة إلى أنه يسن ويندب مسك السواك باليد اليمنى ؛ لأنها لا تبأشر القدر ، مع شرف الفم ، وشرف المقصود بالسواك ، وإن كان لإزالته تغير ؛ ولأن السواك من باب العبادات ، وهو من باب التطهير والتطيب ^(١) ، كما استدلوا بحديث عائشة رضي الله عنها : « أن النبي ﷺ كان يعجبه التيامن في كل شيء في ترجمه وتنعله وتطهره وسواكه » ^(٢) .

وذهب الحنابلة وابن تيمية ^(٣) إلى أنه يسن الاستياك باليد اليسرى ، حيث قال شيخ الإسلام : « وذلك لأن السواك من باب إماطة الأذى ، فهو كالاستئثار والامتخاط ونحو ذلك ، مما فيه إزالة الأذى ، وذلك باليسرى ، كما أن إزالة النجاسات كالاستجمار ونحوه باليسرى ، وإزالة الأذى واجبها ومستحبها باليسرى » ^(٤) . ورد ابن تيمية على من قال إن السواك من باب العبادات ، بقوله : « فإن الاستياك شرع ؛ لإزالة ما في داخل الفم ، وهذه العلة متفق عليها بين العلماء ، ولهذا شرع عند الأسباب المغيرة له ، كالنوم والإغماء ، وعند العبادة التي يشرع لها تطهير ، كالصلاة والقراءة ، ولما كان الفم في مظنة التغير شرع عند القيام للصلاة ، كما شرع غسل اليد للمتوضئ قبل وضوئه ؛ لأنها آلة لصب الماء » ^(٥) .

وقال ابن تيمية : « إماطة الأذى من الفم مقصودة بالسواك قطعاً ، وإن شرع مع عدمه ، تحقيقاً لحصول المقصود ؛ وذلك لا يمنع أن يجعل باليسرى ، كما

(١) « رد المحتار » : (٢٣٤/١) ، « مجمع الأنهر » : (١٣/١) ، « مواهب الجليل » : (٢٦٥/١) ، « الخرشي » : (١٣٩/١) ، حاشية العدوي على هامش الخرشي : (١٣٩/١) ، « الشرح الصغير » بهامش بلغة السالك : (٤٨/١) ، « إعانة الطالبين » : (٤٥/١) ، « التحفة » بهامش حواشي الشرواني وابن العبادي على التحفة : (٢٢١/١) ، « طرح الشريب » : (٧١/٢) .

(٢) سبق تخريجه .

(٣) « التنقيح المشيع » : (٢٥) . « مجموع الفتاوى » : (١٠٨/٢١) .

(٤) « مجموع الفتاوى » : (١٠٨/٢١) .

(٥) « مجموع الفتاوى » : (١٠٩/٢١ - ١١٠) .

أن الحجر الثالث في الاستجمار يكون باليسرى ، والمرة السابعة في ولوغ الكلب تكون باليسرى ، ونحو ذلك مما كان المقصود به في الأصل إزالة الأذى «^(١) .

ويرد على حديث عائشة بأن المراد منه البداءة بالأعضاء اليمنى في التطهر ، والبداءة بالجانب الأيمن من الفم في الاستياك «^(٢) .

وقد أصل ابن تيمية هذه المسألة وما يشابهها بقوله:

« والأفعال نوعان: أحدهما: مشترك بين العضوين . والثاني مختص بأحدهما .

وقد استقرت قواعد الشرع على أن الأفعال التي تشترك فيها اليمنى واليسرى، تقدم فيها اليمنى إذا كانت من باب الكرامة ، كالوضوء والغسل ، والإبتداء في الشق الأيمن في السواك ، ونتف الأبط ، وكاللباس ، والانتعال ، والترجل ، ودخول المسجد والمنزل ، والخروج من الخلاء ، ونحو ذلك .

وتقدم اليسرى في ضد ذلك ، كدخول الخلاء ، وخلع النعل ، والخروج من المسجد .

والذي يختص بأحدهما إن كان من باب الكرامة كان باليمنى ، كالأكل والشرب ، والمصافحة ، ومناولة الكتب ، وتناولها ، ونحو ذلك ، وإن كان ضد ذلك كان باليسرى ، كالاستجمار ، ومس الذكر ، والاستنثار ، والامتخاط ونحو ذلك «^(٣) .

فمن خلال التبيان السابق الذي حمل في طياته أن السواك مستحب في كل وقت ، ويتأكد ذلك في أوقات مُخصصة ، وتبين من خلاله أن السواك مطهرة للقم مرضاة للرب ، وعليه فإن السواك متردد بين كونه من باب التطهير والتطيب وبين كونه من باب إمطة الأذى ، وبعد إطالة النظر في النصوص الواردة في السواك ، يتبين أن كون السواك من باب التطهير والتطيب أكثر من كونه من باب إمطة الأذى . والله أعلم .

(١) «مجموع الفتاوى»: (١١٢/٢١).

(٢) «طرح الشريب»: (٧١/٢).

(٣) «مجموع الفتاوى»: (١٠٨/٢١ ، ١٠٩).

السواك للصائم:

اتفق العلماء على أن السواك للصائم ليس بحرام . ولا يطل الصوم . إلا إنهم اختلفوا في حكمه ، فذهب الشافعية والحنابلة إلى كراهية السواك للصائم بعد الزوال ، وهو مروى عن عمر وابن عمر وأبي ثور وعطاء ومجاهد وإسحاق بن راهويه والأوزاعي ومحمد بن الحسن ^(١) .

ورخص به في جميع النهار الحنفية والمالكية وابن تيمية وقول عند الشافعية ^(٢) ورواه عن الحنابلة ، وهو مروى عن ابن عباس وعمر وعائشة وعروة بن الزبير وابن سيرين والنخعي والثوري والأوزاعي وابن علية . وقال الطحاوي في «مراقي الفلاح» ^(٣) . بل هو سنة في آخر النهار كأوله . واستدل القائلون بالاستحباب بما يلي :

١- عموم الأحاديث الدالة على استحباب السواك منها حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (لولا أن أشق على أمتي ؛ لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة) ^(٤) ، وعن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: (السواك مطهرة للفم مرضاة للرب) ^(٥) . . . والأحاديث لم تخص رمضان عن غيره ، ولا صدرأ من النهار ولا آخره ^(٦) .

(١) «المجموع»: (٢٧٩/١) ، «الأم»: (١٠١/٢) ، «إعانة الطالبين»: (٤٦٧/٢) ، «الحاوي»: (٣/٤٦٧) ، «المغني»: (٩١/١) ، «كشف القناع»: (٧٢/١) ، «التقيح المشع»: (٢٥) ، مصنف ابن أبي شيبة: (٤٥١-٤٥٣) ، «الاستذكار»: (٢٥٦/١٠) ، «البنية»: (٦٨٤/٣) .
(٢) قال الترمذي: « لم ير الشافعي بأساً بالسواك للصائم أول النهار وآخره » . سنن الترمذي: (٩٥/٣) .

(٣) «مراقي الفلاح»: (٢٤٩) ، «البنية»: (٦٨٤/٣) ، «مواهب الجليل»: (٤٤٢/٢) ؛ «الاستذكار»: (٢٥٤/١٠) ، «روضة الطالبين»: (١٦٧/١) ، «المجموع»: (٢٧٩/١) ، «الحاوي»: (٣/٤٦٧) ، «التحفة» بهامش حواشي الشرواني والعبادي على التحفة: (٢٢٢/١) ، «المغني»: (٩٢/١) ، «مجموع الفتاوى»: (٢٢٦/٢٥) ، مصنف ابن أبي شيبة: (٤٥١-٤٥٣) ، مصنف عبدالرزاق: (٢٠٢-٢٠٣/٤) ، «طرح الثريب»: (٦٥/١) .

(٤) سبق تخريجه .

(٥) سبق تخريجه .

(٦) «طرح الثريب»: (٦٥/١) ، «الاستذكار»: (٢٥٤/١) ، «المجموع»: (٢٧٩/١) .

٢- عن عامر بن ربيعة - رضي الله عنه - قال: « رأيت رسول الله ﷺ يتسوك ما لا أحصي وهو صائم »^(١) ، فالحديث يدل على كثرة سواك النبي ﷺ في رمضان دون أن يفرق بين أول النهار وآخره .

٣- عن عائشة - رضي الله عنها - عن النبي ﷺ قال: (من خير خصال الصائم السواك)^(٢) .

٤- عن أنس رضي الله عنه أنه سئل عن الصائم هل يجوز أن يستاك بالغداة والعشي ؟ فقال: « نعم » ، سمعته من رسول الله ﷺ . وفي إحدى روايات حديث أنس رضي الله عنه أنه قال: (يستاك أول النهار وآخره برطب السواك ويابس^(٣)ه ورفعه) .

٥- لأن ما يستحب فعله للصائم قبل الزوال يستحب له فعله بعد الزوال ، كالمضمضة والاستنشاق^(٤) .

واستدل القائلون بالكراهة بما يلي :

١- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك)^(٥) ، فخلوف فم الصائم كان أثره عبادة الصيام مشهود له بالطيب عند الله ، وإن إزالة المستطاب مكروه ، كدم الشهداء ،

(١) ضعيف . انظر سنن أبو داود: (٣٧٣/١) ، سنن الترمذي: (٤٦/٢) ، سنن الدار قطني: (٢٠٢/٢) ، سنن البيهقي: (٢٧٢/٤) ، الطيالسي: (١٥٦) ، سند أحمد: (٣٢٣/١) ،

ضعفه ابن حجر في «التلخيص»: (٧٩/١) ، والألباني في «الإرواء»: (٦٨/١) .

(٢) ضعيف . انظر سنن ابن ماجه: (٥٣٦/١) ، سنن البيهقي: (٢٧٢/٤) ، ضعفه الحافظ

في «التلخيص»: (٧٩/١) ، والألباني في «ضعيف ابن ماجه»: (٢١/١) .

(٣) ضعيف . أخرجه البيهقي: (٢٧٢/٤) ، وفيه إبراهيم بن البطار والخوارزمي ، قال البيهقي: انفرد به إبراهيم بن البطار ، ويقال: إبراهيم بن عبد الرحمن قاض خوارزم ، وهو منكر الحديث ، وقال ابن حبان: لا يصح حديثه ولا أصل له من حديث النبي ﷺ .

وذكره ابن الجوزي في «الموضوعات» . انظر «التلخيص»: (٧٩/١) .

(٤) الحاوي: (٤٦٧/٣) ، «المجموع»: (٢٧٩/١) .

(٥) البخاري: (٥٨٤/٢) ، حديث (١٨٩٤) ، مسلم: (٨٠٦/٢) ، (٨٠٧) ، الترمذي: (١٢٧/٣) .

وشعت الإحرام ^(١) .

٢- عن خباب بن الارت - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: (إذا صام أحدكم فليستك بالغداة ولا يستك بالعشي ، فما من صائم تيس شفتاه إلا كان ذلك نوراً بين عينيه يوم القيامة) ^(٢) .

٣- ولأنها عبادة تعلق بالقم ، فجاز أن يكون للصوم تأثير في صفها ، كالمبالغة في المضمضة والاستنشاق ^(٣) .

الرد على أدلة القائلين بالكراهة:

١- الرد على حديث الخلف:

روى الطبراني عن عبدالرحمن بن غنم قال: « سألت معاذ بن جبل : أنشدك وأنا صائم ؟ قال: نعم ، قلت: أي النهار ؟ قال: غدوة وعشية ، قلت: إن الناس يكرهونه عشية ، ويقولون: إن رسول الله ﷺ : (يقول لخلف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك) ، قال: سبحان الله لقد أمرهم بالسواك وما كان بالذي يأمرهم أن يتنوا أفواههم عمداً ، ما في ذلك من الخير من شيء بل فيه بش » ^(٤) .

وقال ابن عبدالسلام في قواعد الكبرى: « ولا يوافق الشافعي على ذلك ، إذ لا يلزم من ذكر ثواب العمل أن يكون أفضل من غيره ؛ لأنه لا يلزم من ذكر الفضيلة حصول الرجحان بالأفضلية ، ألا ترى أن الوتر عند الشافعي أفضل من ركعتي الفجر مع قوله عليه السلام: (ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها) ، وكم من عبادة قد أتى الشارع عليها ، وذكر أفضليتها وغيرها أفضل

(١) «المجموع»: (٢٧٥/١) ، «الحاوي»: (٤٦٧/٣) ، «التحفة» بهامش حواشي الشرواني

والعبادي على التحفة: (٢٢٢/١) ، «المغني»: (٩١/١) ، «المبدع»: (٩٩/١) .

(٢) ضعيف . رواه الدارقطني: (٢٠٤/٢) ، والبيهقي: (٢٧٤/٤) ، وضعفه ، وضعفه الحافظ

في «التلخيص»: (٧٣/١) ، والألباني في «الإرواء»: (١٠٦/١) .

(٣) «المغني»: (٩١/١) ، «الحاوي»: (٤٦٧/٣) .

(٤) قال الحافظ في «التلخيص»: إسناده جيد ، انظر «إرواء الغليل»: (١٠٦/١) .

منها، وهذا من باب تزاحم المصلحتين ولا يمكن الجمع بينهما ، فإن السواك نوع من التطهير المشروع لأجل الرب سبحانه ؛ لأن مخاطبة العظماء مع طهارة الأفواه تعظيم لا شك فيه ، ولأجله شرع السواك ، وليس في الخلوف تعظيم ، ولا إجلال فكيف يقال: إن فضيلة الخلوف تربى على تعظيم ذي الجلال بتطيب الأفواه ...» إلى أن قال: «والذي عليه الشافعي تخصيص العام بمجرد الاستدلال المذكور المعارض بما ذكرنا»^(١).

وأيضاً فإن رضوان الله أكبر من استطابته لخلوف فم الصائم^(٢) ، حيث قال ﷺ: (السواك مطهرة للفم مرضاة للرب)^(٣).

والسواك لا يمنع طيب الخلوف عند الله يوم القيامة ، بل يأتي الصائم يوم القيامة وخلوف فمه أطيب من المسك علامة على صيامه ، ولو أزاله بالسواك^(٤) على فرض أنه يزال .

والخلوف لا يزول بالسواك ، فإن سببه قائم وهو خلو المعدة عن الطعام ، وإنما يزول أثره وهو المتعقد على الأسنان واللثة^(٥).

وقال ابن العربي: « الحديث لم يسق لكراهية السواك ، وإنما سيق لترك كراهية مخالطة الصائم^(٦) ، والنبي ﷺ علم أمته ما يستحب لهم في الصيام ، وما يكره لهم ، ولم يجعل السواك من تقسيم المكروه ، وهو يعلم أنهم

(١) انظر « نيل الأوطار »: (١/١٢٧).

(٢) «الطب النبوي»: (٢٦٩).

(٣) سبق تخريجه .

(٤) «الطب النبوي»: (٢٦٩).

(٥) «الطب النبوي»: (٢٦٩) ، وانظر «التلخيص»: (١/٧٣) ، «سبل السلام»: (١/٦٤).

(٦) انظر: « التلخيص »: (١/٧٣) ، وقد ردّ ابن حجر على قول ابن العربي ؛ أن حديث الخلوف لم يسق لكراهية السواك بقوله: إن هذا الكلام فيه نظر ؛ لما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال: « لك السواك إلى العصر فإذا صليت فآلقه فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: (خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك) » ، ورد على قول أن السواك لا يزيل الخلوف بقوله: « أن هذا فيه نظر ؛ لأن السواك يزيل التصعد إلى الأسنان الناشيء عن خلو المعدة » . «التلخيص»: (١/٧٣) ، بمعناه . ويرد عليه بأن

حديث أبي هريرة رضي الله عنه السابق . ضعيف ، انظر «التلخيص»: (١/٧٩).

يفعلونه، وقد حضهم عليه بأبلغ ألفاظ العموم والشمول»^(١).
وأقل القول أن هذا الحديث دخله الاحتمال ، والدليل إذا دخله الاحتمال سقط به الاستدلال.

٢- وأما حديث خباب ، فضعيف لا يحتج به ^(٢).

٣- أما الاستدلال بالقياس ، فهو قياس مع الفارق حيث أن السواك غير الماء، فالماء آلة الإفطار بخلاف السواك ، ولم يقم دليل لمنع السواك أو كراهته .
وقد ردّ على أدلة القائلين بالرخصة أو الاستحباب بما يلي:

١- أن الأحاديث العامة في السواك ، حديث عامر بن ربيعة وعائشة محمولة على ما قبل الزوال بدليل الأحاديث التي أوردها ^(٣)، ويرد عليه بأنها أحاديث ضعيفة لا تصلح .

٢- حديث أنس ، ضعيف ^(٤).

٣- أما القياس على المضمضة ، فالمنعنى فيها أنها لا تزيل الخلف ، ولا تقطع الرائحة ^(٥).

قال ابن تيمية في السواك للصائم بعد الزوال: « ولم يقم على كراهيته دليل شرعي يصلح أن يخص عمومات نصوص السواك »^(٦).

السواك الرطب للصائم:

رخص بالسواك الرطب للصائم أبو حنيفة وأصحابه ، والشافعي ، والثوري ، والأوزاعي ، وأبو ثور ، وهو مروي عن ابن عمر ، وابن عباس ، والزيبر ،

(١) «الطب النبوي»: (٢٦٩).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) «الحاوي»: (٤٦٧/٣).

(٤) نفس المصدر السابق.

(٥) «المجموع»: (٢٧٩/١) ، «الحاوي»: (٤٦٧/٣).

(٦) «مجموع الفتاوى»: (٢٦٦/٢٥).

وعروة ، وابن سيرين ، وعطاء ، ومجاهد ، وإبراهيم^(١) ، ودليل ذلك قياس السواك الرطب على الماء الذي يتمضمض به^(٢) ، فغاية ما يخشى من السواك الرطب أن يتحلل منه في الفم شيء من الماء ، كماء المضمضه ، إذ قذفه من فيه ، لا يصده بعد ذلك أن يتلغ ريقه^(٣) .

ورطوبة العود ليست بأكثر من رطوبه الماء في المضمضة ، ثم لم يمنع الصائم منها^(٤) .

وكره السواك الرطب للصائم ، مالك ، وأحمد ، وهو مروى عن الضحاك ، وإسحاق ، وزيايد بن يزيد ، والشعبي ، والحكم بن عيينه ، وعطاء ، وقتادة ، واستدلوا بأن السواك الرطب يجلب الفم^(٥) . ولا يؤمن دخول شيء من رطوبة السواك إلى الجوف .

وهذا القول مردود بما استدل به القائلون بالرخصة ، والكراهة حكم شرعي ، والحكم الشرعي لا يثبت إلا بدليل صالح ، ولم يوجد !

(١) «البناءة» : (٦٨٢/٣) ، «الاستذكار» : (٢٥٥/١) ، «الحاوي» : (٨٦/١) ، «الأم» : (١٠١/٢) ،

مصنف ابن أبي شيبة : (٤٥٢-٤٥٣) ، مصنف عبدالرزاق : (٢٠١-٢٠٢) .

(٢) «فتح الباري» : (١٢٧/٤) .

(٣) «فتح الباري» : (١٢٨/٤) .

(٤) «الحاوي» : (٤٦٧/٣) .

(٥) «الاستذكار» : (٢٥٥/١٠) ، الشرح الصغير بهامش بلغة السالك : (٤٨/١) ، «الحاوي» : (٤٦٧/٣) ، «البناءة» : (٦٨٤/٣) ، «فتح الباري» : (١٢٧/٤) ، مصنف ابن أبي شيبة :

(٤٥٣/٤) ، مصنف عبدالرزاق : (٢٠٢-٢٠٣) .

1